

RI

100

c



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



سلسلة الدرر وسد الدينية في عقائد الاسلامية

٥

معرفة المعاد

استاذ ناصر مكارم الشيرازي



جعفر صادق الخليلي

Makārim Shīrāzī

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

القسم الخامس

معرفة المعاد

مكتبة دارالسلام
بيروت
الطبعة الثانية

(Arab)

BP166

M342

1986

zism 5



سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

القسم الخامس : معرفة المعاد

الاستاذ ناصر مكارم الشيرازي

جعفر صادق الخليلي

قسم الاعلام الخارجي

الطبعة الاولى : ١٤٠٧ هـ

ايران - طهران - شارع سمية - مؤسسة البعثة

تلفن ٨٢١١٥٩

0225160866

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

ان الاصول العقائدية في البحوث التي تهتم الجميع تتميز بخصوصية خاصة ، اذ ان لكل امرئ ، بموجب الأدلة العقلية والفطرية، ميوله النفسية والمعنوية نحو هذا الاتجاه لذلك يكون من الضروري طرحها على المستوى العام بين الناس •

ثم ان المجتمعات الاسلامية التي تتمسك باصول عقائدها، قد تواجه الكثير من المشكلات اذا ما جوبهت باصغر الشكوك والشبهات، وذلك لعدم تأصل تلك العقائد في نفوسها تأصلاً يستند على الاستدلال المنطقي في اثباتها •
اننا نؤمن بان اصول العقائد الاسلامية يجب ان تنشر



بمختلف لغات العالم وعلى مختلف الاصعدة والمستويات .
ان هذه مجموعة العقائد الخمس التي جاد بها قلم
آية الله ناصر مكارم الشيرازي تمتاز بتلك الخصوصية الخاصة
فهي مع استنادها على الاستدلال العقلي، تتميز ببساطة
سهلة تجعلها في متناول عامة الناس وخاصتهم .
اننا نتوجه الى الله بالشكر على ان وفقنا لتقديم
الترجمة العربية لهذه الدورة العقائدية الى جيلنا الناطق
بالعربية .

ونود بالمناسبة ان نحيط القارىء علما بان ترجمة
هذه الدورة الى الانجليزية قد خرجت من المطبعة، والعمل
حار في الوقت نفسه لطبعها باللغات التركية الاسطنبولية
والفرنسية والاسبانية والاوردية، بعون الله تعالى، راجين
عنه مزيدا من التوفيق .

قسم الاعلام الخارجي في مؤسسة البعثة

سؤال مهم : هل الموت نهاية أم بداية ؟

معظم الناس يخافون الموت، فلماذا؟

لقد كان الموت يتراءى دائما للإنسان في صورة هيولى مرعبة مخوفة تحيل طعم الحياة العذب الى مثل العلقم في فمه كلما خطر له الموت .

انه لا يخاف اسم الموت فحسب ، بل يرتعب حتى من ذكر اسم المقابر ، فيسعى الى تزيينها واطفاء البهجة عليها لعله ينسى ماهيتها الحقيقية .

بالرجوع الى آداب مختلف شعوب العالم نجد آثار هذا الخوف من الموت بادية للعيان ، فيوصف بهيولى الهلاك ، أو بمخلب الموت ، أو بضربة الأجل ، وبأمثال ذلك .

وإذا أرادوا ذكر اسم ميت ، سعوا الى تخفيف الموقف على السامع بتعبيرات مثل " ابعдна الله عن ذلك " أو " اطال الله عمرك " وغير ذلك .



فلا بد أن نعرف اذن ما الذي يدعو الناس الى أن يخافوا خوفاً دائماً من الموت .

ثم لماذا نجد ، بخلاف ذلك ، أناساً فضلاً عن كونهم لا يخافون الموت ، فانهم يستقبلونه بالابتسامة ويفخرون بمقدمه ؟
يحدثنا التاريخ عن أناس كانوا يبحثون عن ماء الحياة واكسیر الشباب ، وعن أناس آخرين كانوا يهرعون الى جبهات الجهلاد بشغف ، يواجهون الموت بترحاب باسم ، وقد يتشكون من طول اعمارهم ، لأنهم كانوا متلهفين للقاء الحبيب ورؤية الله . وهذا مانراه اليوم ايضاً على جبهات الحق ضد الباطل ، وكيف أن هؤلاء يسرعون إلى الاستشهاد وقد وضعوا ارواحهم على اكفهم .

لماذا الخوف؟

بالفحص والتمعن نستنتج أن سبب هذا الخوف من الموت عاملان :

١ - تفسير الموت بالفناء:

ان الانسان بطبيعته يهرب من حالات العدم : فهو يهرب من المرض الذي يعني انعدام الصحة ، ويهرب من الظلام الذي يعني انعدام النور ، ويهرب من الفقر الذي يعني انعدام الغنى ، بل انه يهرب احياناً حتى من الدار الخالية ، ومن الانفراد في الصحراء ، لانعدام الرفيق فيهما .

والعجيب انه يهرب الميت نفسه ، فهو يرفض مثلاً ان يبیت مع جسد ميت في غرفة واحدة ، مع انه لم يكن يخاف هذا الميت قبل ان يموت ! فما السبب ياترى في خوف الانسان من العدم وهروبه منه ؟ ان السبب واضح ، فالوجود معقود بالوجود ويألفه ، ولا يمكن



ان يتآلف الوجود والعدم يوماً ، لذلك فمن الطبيعي ان نكون غرباء على العدم ونشعر بالخوف منه .

فاذا نحن قلنا بان الموت هونهاية كل شي ، وان بالمسوت يبلغ كل شي خاتمته ، عندئذ يحق لنا أن نخشاه وأن نهرب حتى من اسمه ومظهره ، لان الموت يسلبنا كل شي .

أما اذا اعتبرنا الموت بداية حياة جديدة ، حياة خالدة ، ونراه نافذة تفتح لنا على العالم العظيم ، عندئذ يكون من الطبيعي أن نخاف الموت ، بل إننا نهني الطاهرين الذين يخطون نحوه بثبات مرتفعي الرأس !

الأضابير السود

إننا نعرف أناساً لا يرون في الموت معنى الفناء والعدم ، لأنهم لا ينكرون الحياة بعد الموت ، ولكنهم مع ذلك يخافون الموت وذلك لأن صحائف أعمالهم قد اسودت الى درجة أنهم إنما يخافون العقوبات الأليمة التي يتوقعونها بعد الموت .

إن لهؤلاء الحق في أن يخافوا الموت . إنهم أشبه بالمجرمين الخطيرين الذين يخافون الخروج من السجن ، لأنهم يعلمون ان خروجهم من السجن يعني تعليقهم على خشبة الاعدام ، فهم ، لذلك ، يتشبثون بقضبان السجن ، لالكرههم الحرية ، إنما هم يكرهون الحرية التي تقودهم الى المشنقة .

هكذا حال المسيئين ، فهم يرون انعتاق أرواحهم من هذا السجن الضيق مقدمة لتحمل أنواع العذاب القاسي بسبب ما ارتكبه من أعمال قبيحة ومن ظلم وجور وفساد ، ولذلك فهم يخافون الموت . أما الذين لا يرون في الموت "فناء" ، ولا يجدون "اضابير"



أعمالهم سوداً ، فما الذي يحملهم على الخوف من الموت ؟
إنهم ، بالطبع ، يريدون هذه الحياة بكل كيانهم ويرغبون
فيها . لكي يستثمروها في سبيل حياتهم الجديدة بعد الموت ، ويعدوا
أنفسهم لاستقبال الموت الذي يكون في سبيل رضا الله ، ذلك الهدف
الذي يدعو للافتخار والاعتزاز .

نظرتان مختلفتان

قلنا إن الناس فريقان : فريق ، وهم الأكثرية ، يخافون الموت
ويهربون منه .

وفريق آخر يستقبلون الموت ، الذي يكون في سبيل هدف
عظيم ، كالشهادة في سبيل الله ، باحضان مفتوحة ، أو انهم ، في
الأقل ، إذا أحسوا بدنو الموت لا يداخلهم هم ولا غم أبداً .
والسبب هو إن أولئك وهؤلاء مختلفون في النظرة .

الفريق الاول : هؤلاء إما أن يكونوا من الذين لا يؤمنون
بوجود عالم بعد الموت ، وإما أنهم لا يصدقون بوجوده كل التصديق ،
ولذلك ينظرون الى لحظة الموت وكأنها لحظة فراقهم لكل شيء . إن
مفارقة كل شيء والخروج من النور الى الظلام المطلق أمر صعب اليم ،
كحال من يخرجونه من السجن ليقدموه للمحاكمة عن جريمة ثابتة
عليه ، فهي حال رهيبة من الخوف .

أما الفريق الثاني فيرى الموت ولادة جديدة وخروجاً من
محيط الدنيا الضيق المظلم ، ودخولاً الى عالم وسيع نير .

إن التحرر من قفص ضيق صغير ، والتحليق في السماء
الفسحة ، والخروج من ذلك المحيط المليء بالخمام والنزاع وضيق
النظر والظلم والحقد والحروب ، والدخول الى عالم قد تطهر من كل

هذا التلوث ، لاشك يجعل الموت أمراً مرغوباً فيه عند هذا الفريق الثاني ، فلا يخافون منه . يقول الامام علي عليه السلام :

" والله لابن ابي طالب آانس بالموت من الطفل ."

• بثدي أمه "

أو كما قال الشاعر الفارسي:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی تادر آغوش بگیرم تنگ تنگ!!
من زاو جاني ستانم جاودان او زمن دلقي ستاندرنگ رنگ!!
(اذا كان الموت رجلاً ، قل : تعال الي)

حتى احتضنه احتضاناً شديداً)

(فاني ساتسلم منه روحا خالصة)

وياخذ مني رداً حال لونه)

إذن ليس من المستغرب أن نصادف في التاريخ رجالاً مثل الحسين عليه السلام ومثل أصحابه المضحين ، كلما ازدادت لحظة الشهادة قريبا منهم ، ازدادت فرحتهم واشتد شوقهم الى لقاء الحبيب وتلألت وجوههم لقرب اللقيا .

وهذا هو نفسه الذي نقرأه في تاريخ حياة الامام علي عليه السلام العظيمة ، فهو عندما تنزل على مفرقه ضربة سيف ذلك المجرم الاثيم ، يصبح قائلاً :

" فزت ورب الكعبة !"

بديهي أن لا يعني هذا الكلام حث الناس على إلقاء أنفسهم في المهالك ، ولا اغضاء عن هبة الحياة العظيمة التي وهبها الله لهم ، فلا يستثمرونها للوصول الى اهدافهم الكبرى . بل المقصود هو حمل الانسان على استغلال الحياة استغلالاً سليماً ، دون ان يعتورهم الخوف من انتهائها ، وخصوصاً اذا كانت الغاية هدفاً عظيماً وسامياً .

فكر وأجب :

- ١- لماذا يخاف الناس من الموت ؟ أذكر الأسباب .
- ٢- لماذا يستقبل بعض الناس الموت مبتسمين ويعشقون الشهادة في سبيل الله ؟
- ٣- بم يمكن تشبيه لحظة الموت ؟ ما شعور المؤمنيين المطهرين في تلك اللحظة ، وما شعور المسيئين عديمي الايمان ؟
- ٤- هل اتفق لك أن رأيت بنفسك اشخاصاً لا يرهبون الموت ؟ ماهي انطباعاتك عنهم ؟
- ٥- ما الذي قاله علي عليه السلام بشأن الموت ؟



الدرس الثاني

المعاد يعطي الحياة مفهوما

إذا تصورنا هذا العالم بدون العائم الآخر لظهر لنا ان عالمنا فارغ ولا معنى له . إنه أشبه مايكون بافتراض دورة حياة الجنين بدون خروجه من تلك الحياة الى هذه الحياة الدنيا .

ان الجنين الذي يعيش في رحم امه ، ويقضي في هذا السجن الضيق والمظلم شهوراً عدة ، ليأخذه العجب حقاً لو انه اوتي عقلاً وحكمة ليتفكر بهما في أمره وكونه في سجنه ذاك :

لماذا أنا حبيس في هذا السجن المظلم ؟

لماذا علي أن اخوض في هذه المياه والدماء ؟

مانتيجة ذلك ؟

من الذي ارسلني ؟ ولماذا ؟

أما اذا قيل له : انك تقضي هنا فترة موقتة ، تتشكل فيها اعضاءك ، فتقوى ، وتصبح قادراً على الحركة والسعي في عالم كبير آخر ، وان قرار خروجك من هذا السجن سوف يصدر بعد انقضاء تسعة اشهر ، فتضع قدمك في دنيا فيها شمس ساطعة ، وقمر منير ،

واشجار خضر، ومياه جارية، وكثير من النعم الاخرى، عندئذ سيتنفس الجنين المعداء ويقول : الآن ادركت فلسفة وجودي في هذا السجن! فهذه الدنيا مقدمة ، انها متعة القفز ، انها المدرسة التي

تعد المرء لدخول الجامعة الكبيرة .

أما اذا قطعت علاقة حياة الجنين بالحياة في هذه الدنيا ، لغرق كل شيء في الظلام ولم يعد له اي معنى ، ولكن السجن رهيباً ومستقبل السجين أليماً .

كذلك هي العلاقة بين الحياة في هذه الدنيا والحياة بعد الموت . ما الداعي الذي يدعونا ان نظل نتقلب في هذه الدنيا سبعين سنة ، أو أقل وأكثر ، متحملين العذاب والعناء ، نقضي فترة من الزمن نعاني من قلة التجربة والمعرفة حتى ننضج ، ونقضي فترة اخرى ندرس ونتعلم ، وما أن تنتهي مرحلة النضج والتعلم حتى نجد ثلوج الكهولة قد حطت على رؤوسنا !

ثم ما الهدف من كل هذا ؟ ألكي نأكل ونلبس وننام ، ثم لكي نكرر هذا عشرات السنين ؟ أفهل هذه السماء الشاسعة . وهـذه الارض الواسعة، وكل هذه المقدمات والدرس واختزان المعلومات والتجارب ، وكل هؤلاء الاساتذة والمربين ، لم يكونوا إلا للأكـل والشرب واللبس في هذه الحياة المنحطة المتكررة ؟

هنا تتأكد عبثية هذه الحياة وفراغها عند اولئك الذين لا يؤمنون بالمعاد ، لانهم لا يمكن ان يتصوروا هذه الأمور التافهة هي الهدف والغاية من الحياة ، وهم في الوقت نفسه لا يعتقدون بوجود حياة بعد الموت حتى تكون هي الغاية .

لذلك نجد أن كثيراً من هؤلاء يلجأون الى الانتحار للخلاص من حياة كهذه عديمة المعنى والهدف .

أما اذا صدقنا أن الحياة " مزرعة " الآخرة ، وأن علينا أن

نباشر بالبذر هنا حتى نحصد الغلة في حياة أبدية خالدة .
 وإذا علمنا أن الدنيا " جامعة " علينا ان نكتسب منها
 المعرفة لنعد انفسنا للعيش في دنيا خالدة ، وأن هذه الدنيا ليست
 سوى " جسر " للعبور .

عندئذ لا تكون هذه الدنيا فارغة ولا عبثا لامعنى له ، بل
 سوف نراها فترة تمهيدية واعدادية لحياة خالدة وأبدية تستحق منا
 أكثر من كل هذا، الذي نبذله من أجلها .
 نعم ، إن الايمان بالمعاد يمنح الحياة معنى ومفهوماً ،
 ويخلصها من " الاضطراب " و " القلق " و " العبثية " .

الايان بالمعاد عامل تربوي

ان للاعتقاد بوجود محكمة العدل العظمى في الآخرة تأثيرا
 كثيرا في الحياة، بالاضافة الى ماسبق قوله .
 أفرض أنهم أعلنوا في البلاد أنه اذا ارتكب الناس أي جرم
 في اليوم الفلاني من السنة فلن يعاقبوا ولن يذكر ذلك في صحيفة
 أعمالهم ، وأن لهم أن يقضوا يومهم بكل اطمئنان ، لان رجال الشرطة
 سوف يكونون في اجازة ، وسوف تتعطل المحاكم ، وعندما تعود الحياة
 العادية الى مجراها الطبيعي في اليوم التالي فان جرائم الـيوم
 السابق سوف تنسى .

لكم ان تتصوروا كيف سيكون حال المجتمع في ذلك اليوم !
 إن الايمان بيوم القيامة هو الايمان بدار عدالة عظمية لا يمكن
 مقارنتها بمحاكم هذه الدنيا .

أما خصائص محكمة العدل الإلهية فهي :
 ١- انها محكمة لاتتأثر بالوساطات ، ولا بالمحسوبيات

ولا يندفع قضاتها بالأدلة المزيفة .

- ٢- انها محكمة لاتحتاج الى المراسيم والتشريفات السائدة في محاكم الدنيا ، ولذلك فليس فيها تأجيلات وتأخيرات ، بل تنظر في القضايا بسرعة البرق وتصدر احكامها بمنتهى الدقة .
- ٣- انها محكمة لاتستند إلا الى اعمال الشخص نفسه ، اي إن الاعمال تحضر هناك وتثبت علاقتها بفاعلها بحيث لا يمكن انكارها .
- ٤- انها محكمة الشهود فيها اعضاء المتهم : يده ورجله واذنه وعينه ولسانه وجلده ، وحتى أرض الدار وأبوابها وجدانها حيث ارتكب معصية أو أذى فروض الطاعة ، وهم شهود لا يمكن انكارهم كآثار اعمال الانسان الطبيعية .

٥- انها محكمة قاضيها هو الله العليم بكل شي ، والغني عن كل شي ، والعاقل الذي لا يضاهاه عدله عادل .

- ٦- واخيراً ، الجزاء في هذه المحكمة ليس محددًا من قبل ، بل أكثر ماتحدده أعمالنا نفسها ، اذ انها تتشكل وتستقر الى جانبنا ، فتعذبنا أو ترفه عنا وتغرقتنا في نعم الله .
- إن الايمان بوجود محكمة كهذه يؤدي بالانسان الى أن يردد ما قاله الامام علي عليه السلام :

" والله لأن أبيت على حرك السعدان مسهداً ،
أو أجز في الاغلال مصفداً ، أحب اليّ من أن ألقى الله
ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء
من الحطام ... " ٢

إن الايمان بهذه المحكمة هو الذي يحمل انساناً ان يقرب حديده محماتة الى يد اخيه الذي كان يرغب بالمحابة في بيت المال وعندما يرتفع صراخ الاخ يوجه اليه النصيحة قائلاً :

" نكلتك الثواكل يا عقيل ! أتئن من حديده

احماها انسانها للعبه ، وتجرني الى نار سجرها
جبارها لغضبه ... "

أيمكن أن ينخدع انسان له مثل هذا الايمان ؟
أيمكن بالرشوة ابتياع ضمير انسان كهذا ؟
أيمكن بالوعد والوعيد حرف مسيرته من طريق الحق السى
طريق الباطل ؟

يقول القرآن المجيد :

" ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما
فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحماها ... " ٣

وهكذا تنبعث في روح الانسان موجة قوية من الاحساس
بالمسؤولية ازاء كل عمل من أعماله تحول بينه وبين الضياع
والانحراف نحو الظلم والعدوان .

* * *

فكر وأجب :

١- لو لم يكن هناك عالم آخر بعد هذه الحياة الدنيوية
المحددة والموقته ، فما الذي كان سيحدث ؟
٢- لماذا يسعى بعض الذين ينكرون المبدأ والمعاد إلى
التخلص من الحياة بالانتحار ؟
٣- ماهي الاختلافات بين محكمة يوم القيامة والمحاكم في
هذه الدنيا ؟

٤- ماتأثير الايمان بالمعاد على أعمال الانسان ؟
٥- ما الذي قاله أمير المؤمنين عليه السلام لاختيه عقيل ؟
ماذا كان عقيل يريد منه ؟ ماذا كان جوابه له ؟

* * *

الدرس الثالث

في أعماقنا مثال لمحكمة يوم القيامة

لما كانت قضية الحياة بعد الموت ومحكمة يوم القيامة العظيمة تعتبر قضية جديدة على انسان يعيش في هذه الدنيا الضيقة المحدودة فان الله أوجد لنا مثلاً مصغراً لتلك المحكمة في هذه الدنيا ، هي محكمة النمير ، الآانها كما قلنا صورة مصغرة لها . دعونا نوضح هذا الموضوع :

يحاكم الانسان على الأعمال التي يقوم بها في عدة مسن المحاكم . أولها هي المحاكم البشرية العادية ، بكل ما فيها من ضعف ونقص وانحرافات .

وعلى الرغم من إن لهذه المحاكم بعض التأثير في تخفيف نسبة ارتكاب الجرائم ، إلا أن لاسس التي أقيمت عليها هذه المحاكم ليست أصلاً قمينة بتحقيق العدالة كاملة ، ولا يمكن أن ينتظر منها ذلك . فالقوانين الموضوعة والقضاة الفاسدون وتفشي الرشوة والمحسوبيات والمنسوبيات والمناورات السياسية وآلاف الأمور الأخرى تؤدي كلها الى إضعافها الى درجة يمكن القول معها بأن

عدمها خير من وجودها ، وذلك لان وجودها يساعد على تنفيذ مآرب المتنفذين المشؤومة .

وحتى لو كانت قوانينها عادلة ، وقضاتها متقين وواعين ، فان هناك الكثيرين من المجرمين القادرين على اخفاء معالم جرائمهم ، والماهرين الذين يستطيعون تزييف المستندات والادلة بحيث لا يجد القاضي طريقه بوضوح ، فيجردون القوانين بذلك من محتواها .
المحكمة الثانية التي يحاكم فيها الانسان هي محكمة " نتائج الاعمال " .

إن لأعمالنا آثاراً ونتائج تصيبنا على المدى القريب او البعيد . واذا لم يكن هذا حكماً عاماً ، فانه يصدق في الاقل بالنسبة لكثير من الناس .

لقد رأينا حكومات شيدت حكمها على الظلم والجور والاعتداء واركتبت كل جريمة شاءت ، ولكنها في النهاية وقعت في فخاخ نصبتها بنفسها وسقطت في شباك هي التي نسجت خيوطها ، فحاققت بها ردود افعالها ، فانهارت وتلاشت حتى لم يبق لها أثر .

ولما كانت نتائج الاعمال هي العلاقة بين العلة والمعلول والعلائق الخارجية ، فقلما استطاع أحد أن ينجو من مخالبتها بالتزوير والتزييف ، كما يفعلون في المحاكم العادية . ولكن كل مافي الأمر إن هذه المحاكم ليست عامة وشاملة ، ولهذا فهي ليست قادرة على جعلنا في غنى عن محكمة يوم القيامة .

أما المحكمة الثالثة ، وهي أدق وأقسى من محاكم النسوع الثاني ، فهي محكمة الضمير .

في الواقع ، بمثلما ان المنظومة الشمسية بنظامها العجيب قد تمثلت مصغرة جداً في قلب الذرة ، كذلك يمكن القول بان نظام محكمة يوم القيامة قد تمثل مصغراً في داخلنا .

إن في أعماق الانسان قوة غامضة يطلق عليها الفلاسفة اسم "العقل العملي" ، ويسمونها القرآن "النفس اللوامة" ، ومصطلح عليها المعاصرون باسم "الضمير" أو "الوجدان" .

فما أن يقوم الانسان بعمل ما ، خيراً كان أم شراً ، حتى تعقد هذه المحكمة جلسة بدون ضوضاء ولا تشريفات ، ولكن بكل جد ووفق الاصول ، وتبدأ المحاكمة ، ويصدر الحكم ، ثواباً أو عقاباً ، يتم تنفيذه بهيئة آثار نفسية .

وقد يكون عقاب المجرمين أحياناً من الشدة والقسوة بحيث يتمنى المجرم الموت ويستقبله بكل ترحاب ويفضله على الحياة ، ويكتب في وصيته : انتحرت تخلصاً من عذاب الضمير !

واحياناً يكون الثواب على عمل الخير كبيراً يشيع الفرح والسرور في نفس فاعله ويضفي عليه حالة من الاطمئنان والهدوء النفسي مما يصعب وصف مافيه من العذوبة واللذة .
ان لهذه المحكمة خصائص معينة :

١- في هذه المحكمة قاضيها وشاهدها ومنفذ أحكامها والمتفرج فيها واحد ، وهو الضمير الذي يشهد ويقضي ويصدر الحكم ثم يشمر عن ساعد الجد وينفذ الحكم .

٢- في هذه المحكمة بخلاف ما يجري في المحاكم العادية التي يكثر فيها الضوضاء والمظاهر ، وقد تطول فيها محاكمة قضية واحدة سنوات طويلاً - تجري المحاكمة بسرعة البرق في أكثر الحالات إلا إذا اكتنف القضية بعض الغموض مما يتطلب بعض الوقت لفحص أدلة القضية وإزاحة سجب الغفلة عن نظر القلب ، ولكن بعد التأكد يكون صدور الحكم قطعياً .

٣- الحكم في هذه المحكمة يتم في مرحلة واحدة ، فلا استئناف ولا تمييز ، بل هو حكم نهائي بات .

٤- هذه المحكمة لاتصد أحكام العقوبات فقط ، بل هي تحكم بالمكافأة والاثابة • أي إنها محكمة تنظر في قضايا المجرمين والمحسنين معا ، فتعاقب المسيء وتثيب المحسن •

٥- عقوبات هذه المحكمة لاتشبه عقوبات المحاكم العادية ، إذ ليس فيها سجون حقيقية ، ولا سياط للجلد ، ولا أعواد للشنق ، ولا محرقة للحرق ، ولكن عقابها يكون احياناً حارقاً وسجنها قاسياً بحيث ان الدنيا على سعتها تضيق بالانسان ، كأضيق سجن انفرادي في سجن رهيب •

وعليه ، فان هذه المحكمة ليست تشبه أياً من المحاكم العادية ، بل هي من نوع محكمة يوم القيامة • إن هذه المحكمة من العظمة بحيث إن القرآن يقسم بها كما يقسم بمحكمة المعاد ، فيقول :

" لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفوس اللوامة أي حسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلسي قادرين على ان نسوي بنانه " ٤

بديهي إن هذه المحكمة ، لكونها دنيوية على كل حال ، فيها من النقائص ما لا يجعلنا نستغني عن محكمة يوم القيامة ، وذلك :

١ - لأن نطاقها ضيق لا يستوعب كل شيء ، بل تتناسب مع نطاق تفكير الانسان نفسه وإدراكه •

٢- هنالك أشخاص على درجة من المكر والدهاء بحيث إنهم يستطيعون أن يخدعوا حتى ضمايرهم ويغشوها •

٣- قد يكون نداء الضمير في بعض المجرمين من الضعيف بحيث إنه لا يصل الى مسامعهم •

وهكذا يتبين لنا ان وجود المحكمة الرابعة ، محكمة يوم القيامة ، أمر لابد منه •



فكر وأجب:

- ١- كم محكمة يحاكم فيها الانسان في الواقع؟
- ٢- ماهي خصائص المحكمة الاولى ، وما اسمها ؟
- ٣- ماهي مميزات المحكمة الثانية ؟
- ٤- ماهي خصائص المحكمة الثالثة ؟
- ٥- عدد نقاط ضعف محكمة الضمير ومميزاتها •

*

*

*

الدرس الرابع

المعاد في تجليات الفطرة

يقولون إن معرفة النفس تنبع من الفطرة وجبلة الانسان، وإذا استطلعنا ضمير الانسان الواعي وغير الواعي لتبين لنا إيمانه وتعلقه بمبدأ فيما وراء الطبيعة يراه هو الذي خلق هذا العالم خلق عليم ، ووفق برنامج ، ومن أجل هدف معين .

إلا أن هذا لا يقتصر على "التوحيد ومعرفة الله" ، فجميع أصول الدين وفروعه يجب أن تكون في الفطرة أيضاً ، وإلا فإن الانسجام بين اجهزة "التشريع" و"التكوين" لا يتحقق (فتأمل !) .

ولكننا اذا ألقينا نظرة فاحصة في قلوبنا واستطلعنا أعماق أرواحنا ، لسمعنا بأذن أرواحنا متممة تقول : إن الحياة لاتنتهي بالموت ، لان الموت نافذة على عالم البقاء!

ولكي تتجلى لنا هذه الحقيقة لابد لنا من التنبيه السلي

النقاط التالية :

١- حب البقاء

إذا كان الانسان قد خلق لكي يموت ويفني ، فلا بد ان يحب الفناء وان يستمتع بلذة الموت في نهاية عمره . ولكننا نشهد ان ملامح الموت (بمعنى العدم) لم تكن في يوم من الايام مما يثير البهجة في قلب الانسان ، بل إنه ، بخلاف ذلك ، يهرب من رؤيصة الموت بكل ما أوتي من قوة .

هذه الحقيقة تؤكدها جهود الانسان التي يبذلها لاطالة عمره ، وللبحث عن اكسير الشباب ، وللعثور على ماء الحياة . إن هذا التعلق بأذيال الحياة لدليل على أننا قد خلقنا للبقاء ، لالموت إذ لو كنا قد خلقنا للفناء لما احببنا الحياة الى هذا الحد .

إن جميع أنواع الحب البناءة الكامنة في اعماقنا تعمل على ايماننا الى الكمال والتكامل ، ومن ذلك حب البقاء ، فهو يكمل وجودنا .

لاتنسوا أننا نتابع بحث " المعاد " بعد قبولنا بوجود اله حكيم عليم . اننا نؤمن بأن كل ما أودعه الله في داخلنا كان لحكمة وحساب ، ومن هنا لا بد أن تكون هناك حكمة في هذا الحب السذي نشعر به للبقاء ، وما هذه الحكمة سوى وجود العالم الذي يكون بعد هذا العالم .

٢- يوم القيامة عند الماضين

إن التاريخ الذي يشهد بوجود الاديان على اختلافها عند الأقسام الماضية منذ اقدم الأزمنة ، يشهد كذلك بأن الانسان القديم كان يؤمن ايضا " بالحياة بعد الموت " .

إن الآثار الباقية من الانسان القديم، وخاصة من انسان ما قبل

التاريخ ، فيما يتعلق بطراز تشييد القبور ، وطريقة دفن الاموات ؛
 • لتدل جميعاً على حقيقة كونهم كانوا يعتقدون بالحياة بعد الموت .
 وعليه لا يمكن اعتبار هذه العقيدة العميقة الجذور في
 تاريخ البشر عقيدة بسيطة ، ولا كونها عادة لقنت لهم تلقينا .

إننا كلما صادفنا في تاريخ الانسان عقيدة ذات جذور عميقة
 ومستمرة على امتداد العصور ، أدركنا انها عقيدة فطرية ، إذ إن الفطرة
 وحدها هي التي تستطيع أن تقاوم مرور الزمان والتقلبات الاجتماعية
 والفكرية المختلفة ، وتبقى ثابتة . أما العادات والرسوم الخارجية
 فما أسرع ما تتبدل أو يلفها النسيان بمرور الزمان .

إنك إذ تلبس الطراز الفلاني من الملابس إنما أنت تسير
 العادات أو الرسوم المتبعة ، وهذا سرعان ما يعتوره التغيير والتبدل
 بتقادم الزمان وعوامل أخرى كثيرة .

أما حب الأم لطفلها فانه غريزة متمكنة جبلت عليها
 طبيعتها ، لذلك لا ينتابه أي تبدل مهما تغيرت الظروف والأحوال ،
 بل تظل شعلته ملتهبة ، لا يخفف منه تعاقب الايام ، ولا يحول لونه
 بغياب النسيان ، وكل جاذبية نابغة من داخل الانسان فهي من الفطرة
 الكامنة فيه .

عندما يقول العلماء :

"لقد اثبتت الدراسات الدقيقة ان الاقوام

الأولى البدائية من البشر كانت تؤمن بنوع من الأديان
 وذلك لأنهم كانوا يدفنون موتاهم بطريقة خاصة ،
 ويدفنون معهم أدوات عملهم ، وبهذا يمكن إثبات
 أنهم كانوا يعتقدون بوجود العالم الآخر " .^٥

ندرك أن تلك الأقسام قد تقبلوا فكرة وجود عالم آخر بعد الموت ،
 وإن اخطأوا السبيل اليه ، ظانين أنه لا يختلف بشي عن عالمهم

الاول، وأن الأدوات التي كانوا يستعملونها في الدنيا تنفعهم في العالم الآخر ايضاً .

٣_ ان محكمة (الضمير) دليل آخر على أن فكره المعاد فطرية.

سبق ان قلنا اننا نشعر بكل وضوح أن هناك في داخلنا محكمة تنظر في اعمالنا واقوالنا ، تثيبنا على الحسنة منها ، فنحس على أثر ذلك بالراحة والاطمئنان والهدوء النفسي والفرح والنشاط مما لايتأتى لقلم أن يصفه .

كما أنها تعاقبنا على السيئة منها ، وعلى الأخص الذنوب الكبيرة ، فعقابها عليها يكون من الشدة والقسوة بحيث تحيىسل الحياة كالعقم مرارة .

كثيرا ما لوحظ أن مجرمين بعد أن يرتكبوا جريمة كبرى، كالقتل ، ويفلتون من قبضة العدالة ، يعودون ويسلمون أنفسهم الى المحكمة ، ويمعدون المشانق طوعاً ، قائلين انهم يريدون الخلاص من عذاب الضمير .

عندما يمعن المرء فكره في هذه المحكمة الباطنية ينتابه العجب : كيف يمكن أن يوجد في داخلي مثل هذه المحكمة ، وأنا هذا الكائن الصغير ، ولا توجد في عالم الخليقة العظيم محكمة تتناسب معه ؟

وبناء على ماتقدم نستطيع ان نشبت بثلاثة طرق فطريسة الاعتقاد بالمعاد وبوجود عالم آخر بعد هذاالعالم : طريق حب البقاء .

طريق التاريخ الذي يؤكد إيمان البشر بهذه الفكرة منذ الأزمنة السحيقة .

طريق المثال المصغر الموجود في باطن الانسان .

✱

✱

✱

فكر وأجب:

- ١- كيف يمكن تمييز الأمور الفطرية عن غير الفطرية ؟
- ٢- لماذا يحب الانسان البقاء ؟ وكيف يعتبر هذا دليلا على أن المعاد من الأمور الفطرية ؟
- ٣- هل آمنت الاقوام القديمة بالمعاد ؟ كيف ؟
- ٤- كيف تقوم محكمة الضمير بمكافأتنا او بمعاقبتنا ؟ اذكر نماذج لذلك .
- ٥- ما العلاقة بين محكمة الضمير والمحكمة الكبرى يوم القيامة ؟

✱

✱

✱

البعث في ميزان العدالة

إذا أمعنا النظر في نظام عالم الوجود وسنن الخلق نجد أن
ثمة قانوناً يحكمها جميعاً ويضع كل شيء في مكانه المناسب .
في جسم الانسان نرى هذا النظام العادل قد ركبّ فيه بدرجة
من الدقة المتناهية بحيث إن أقل اختلال في توازنه يؤدي به السني
الأصابة بالمرض ، أو الى الموت .

خذ مثلاً ، تركيب القلب ، أو العين ، أو الدماغ ، تجد أن كل
جزء فيها قد ركب في مكانه المناسب بكل دقة وبالقدر اللازم . إن هذا
التنظيم المناسب العادل لا يقتصر وجوده في جسم الانسان ، بل هو
سائد في كل اجزاء عالم الخليقة ، إذ :

" بالعدل قامت السموات والأرض " .

إن حجم الذرة من الدقة والصغر بحيث أنك تستطيع أن تضع
ملايين منها على رأس إبرة ، فتأمل كيف يجب أن يكون تركيبها من
الدقة والتنظيم بحيث يمكن لها أن تديم حياتها ملايين السنين .
إن هذا ناشئ من العدالة في الحسابات الدقيقة لنظام

الالكترونيات والبروتونات ، ومامن جهاز صغير أو كبير يخرج عن دائرة هذا النظام العجيب .

فهل الانسان حقاً كائن استثنائي ؟ وإنه بقعة سوداء فسي جسد هذا العالم الكبير الأبيض ؟ وانه لهذا السبب يجب أن يسرح ويمرح حراً ، لا يلتزم نظاما ويرتكب مايشاء من ظلم واعتداء ؟ أم إن هناك سرأ في هذا الأمر ؟

حرية الإرادة والاختيار

الحقيقة هي إن الانسان يختلف اختلافاً أساساً عن سائر الكائنات في عالم الوجود ، وهو إنه يملك حرية الارادة والاختيار . لماذا خلقه الله حراً ، وأوكل اليه اتخاذ القرارات والقيام بما يشاء من أعمال ؟

السبب هو إنه لو لم يكن حراً لما استطاع أن يحقق تكامله ، فهذا الامتياز الكبير هو الذي يضمن تكامله الأخلاقي والمعنوي . لو أن شخصاً اجبر بالقوة على إعانة المستضعفين والقيام بأعمال أخرى تفيد المجتمع ، فان هذه الاعمال قد تسير في طريقها ، ولكنها لن تكون دافعاً لهذا الشخص على التكامل الاخلاقي والانساني ابداً . أما إذا قام بعشر تلك الاعمال الخيرة بمحض ارادته يكون قد تقدم بالنسبة نفسها على طريق التكامل المعنوي والاخلاقي .

بناء على ذلك ، فان أول شرط من شروط التكامل المعنوي والاخلاقي هو امتلاك حرية الارادة والاختيار حتى يقوم الانسان بالسير في هذا الطريق بمحض رغبته و ارادته ، لا بالجبور والاكراه ، كما هي حال عناصر الطبيعة الاخرى ، فالله سبحانه وتعالى لم يهب الانسان هذه الهبة العظيمة إلا لهذا الغرض السامي .

بيد أن هذه النعمة الكبرى أشبه بالورد الذي يحيط به الشوك ، وهو سوء استغلال الناس لهذه الحرية والتلوث بالظلم والفساد والذنوب .

بديهى إن الله لم يكن يمنعه شيء من أن يعاقب كل ظالم فوراً بعقاب يجعله يقتلع من رأسه كل فكرة عن تكرار ذلك ، كأن يشل يده ، أو يعمي بصره ، أو يخرس لسانه .

صحيح إن احداً ، في هذه الحالة ، لن يجرؤ على إساءة استعمال حريته ولن يقرب الاثم طوال حياته ، غير أن هذه العفة والتقوى تكون إجبارية قسرية ، ولا تعتبر مدعاة لافتخار الانسان واعتزازه ، بل تكون نتيجة الخوف من العقاب الصارم الفوري .

لذلك لا بد أن يكون الانسان حراً وان يجتاز الامتحانات التي يقررها له الله ، وأن لا يعاقب فوراً ، إلا في حالات استثنائية ، لكي يستطيع ان يكشف عن قيمته في الوجود .

الآن هناك موضوعاً آخر ، وهو إنه إذا استمرت الحال على هذا المنوال واختار كل طريفاً ، فان قانون العدالة الالهية الذي يسيطر على عالم الوجود يكون قد انتقض .

من هنا يتبين لنا أن هناك محكمة ودار عدالة قد عينت للبشر ، وأن على الجميع الحضور فيها بدون استثناء لينال جزاء أعماله بموجب عدالة عالم الخلق .

ايح أن يفضي أشخاص مثل نمروذ وفرعون وقارون وچنغيز أعمارهم يظلمون ويعتدون ويفسدون ، ثم لا يكون وراءهم حساب ولا عقاب ؟

أيجوز أن ينفذ المجرمون والمتقون على قدم المساواة في كفة ميزان العدالة الإلهية ؟
أو كما يقول القرآن :

" أفنجل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف

تحكمون " و " أم نجعل المتقين كالفجار " .^٧

صحيح إن بعض المجرمين ينالون عقابهم على أعمالهم في هذه الدنيا ، أوجزاً ، من ذلك العقاب ، وصحيح إن مسألة محكمة الضمير مسألة مهمة ، وصحيح ايضاً إن نتائج الذنوب والظلم والتعسف تحقيق احياناً بالانسان نفسه ، ولكننا بامعان النظر في هذه الحالات الثلاث ندرك أنها ليست عامة شاملة بحيث تعم كل ظالم ومذنب فينال كل نصيبه من العقاب بما يتناسب وجريمته ، وأن هناك الكثيرين الذين يهربون من مخالفة عقاب محاكمات الضمير ونتائج أعمالهم ، أو لا ينالون من العقاب ما يكفي .

فلاً مثال هؤلاء ، ولكي تكون هناك محكمة عدل عامة لمحاسبة الناس حتى على مقدار رأس الابرة من العمل الحسن او السيئ ، تقام محكمة العدل يوم القيامة ، وإلّا فإن مبدأ العدالة لا يمكن أن يتحقق .

بناء على ذلك ، فإن القبول " بوجود الله " و " عدالته " يستدعي القبول بالبعث ومحكمة يوم القيامة ، ولا يمكن الفصل بين هذين ابدا .

* * *

فكر وأجب :

- ١- كيف قامت السموات والارض بالعدل ؟
- ٢- لماذا وهب الانسان نعمة حرية الارادة والاختيار ؟
- ٣- ماذا كان سيحدث لو أن المسيئين نالوا عقابهم فوراً على جرائمهم في هذه الدنيا ؟
- ٤- لماذا لانستغني بثواب أعمالنا ، وبمحكمة الضمير

وبنتائج أعمالنا ، عن محكمة يوم القيامة ؟
هـ- ما العلاقة بين " العدالة الالهية " و " المعاد " ؟

*

*

*

مشاهدة البعث في هذا العالم

يستنتج من الآيات القرآنية أن عبدة الأصنام والكفار في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لم يكونوا هم وحدهم الذين يستنكرون مسألة المعاد والحياة بعد الموت ويخشونها ، بل كانت أقوام في عصور سابقة ترى هذا الرأي ، وتسم القائلين به بالجنون ، ونقول :

" هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كسل
ممزق انكم لفي خلق جديد • افتري على الله كذباً أم
به جنة " ^٨

نعم ، يومئذ كان الناس لجهلهم وقصر نظرهم يتهمون من يعتقد بعالم ما بعد الموت وبالحياة الأخرى بالجنون ، أو بالتقول على الله ، قائلين إن الزعم بانبعث الحياة في المادة الميتة جنون • والذي يلفت النظر هو إن القرآن يواجه هذه الافكار بمجموعة من الاستدلالات المختلفة التي تنفع الفرد العادي كما تنفع العالم المتبحر ، كلاً على قدر مستواه العقلي •



وعلى الرغم من إن شرح هذه الاستدلالات القرآنية يتطلب كتاباً منفصلاً ، فإننا نبادر الى ذكر بعض نماذجها :

١- يخاطبهم القرآن في بعض آياته قائلاً :

إنكم ترون بأمر أعينكم مشاهد من المعاد في حياتكم اليومية ، فترون كيف تموت الكائنات وكيف تعود الى الحياة ، فكيف تشكون في المعاد بعد كل هذا ؟

" واللّه الذي ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور " ٩

نجيل بانظارنا شتاءً في ملامح الطبيعة فنرى إمارات الموت ورائحته تشيع في كل مكان ، فالاشجار عارية من أوراقها وثمارها ، تقف خشبة جرداء جافة ، فلا زهرة ضاحكة ، ولا برعم متفتح ، ولا نبضات للحياة تنبعث من جنبات المحاربي وسفوح الجبال .

ثم يحل الربيع ، ويلطف الجو ، وينهمر المطر المحيي من السماء ، وإذا بحركة الحياة تجتاح الطبيعة بأسرها وتبدو جليسة للعيان ، فتنمو النباتات وتورق الاشجار وتبرز البراعم والازاهيو ، وتبدأ الطيور تبني أعشائها بين الأغصان ، وينكشف الانبعاث العارم في كل شيء !

فلولا الحياة بعد الموت ما كنا لنشهد هذا المشهد يتكرر كل عام . ولو كانت الحياة بعد الموت مستحيلة ، ويعتبر الكسالم عليها جنوناً ، لما كان كل هذا يتجسد أمامنا ونراه بأعيننا ونتحسسه بحواسنا .

ولا فرق بين إحياء الأرض بعد موتها وإحياء الانسان بسعد

موته .

٢- وفي مواضع أخرى يأخذ القرآن بأيديهم ليتقدم بهم نحو بداية الخلق ، يصف لهم الخلق الاول . وعندما يتقدم أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله ويبيده قطعة عظم بالية ، ويصيح : يا محمد : " من يحيي العظام وهي رميم " وكأنه قد أتى بدليل لا يمكن دحضه لتفنيد مسألة "المعاد" . فبيأتى أمر الله الى رسوله : " قل يحييها الذي أنشأها أول مرة " .^{١٠}

لا فرق بين الخلق الاول والخلق المتجدد ، ولهذا تقول آية أخرى في عبارة قصيرة غنية بالمعنى :

" كما بدأنا أول خلق نعيده . " .^{١١}

٣- وقد يشير القرآن الى قدرة الله العظيمة بحثهم على النظر الى هذا الكون الفسيح بسمواته وأرضه ، فيقول :

" أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . إنما امره إذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون " .^{١٢}

كان الشاكون في هذه الامور اشخاصا لم يتعد أفق تفكيرهم محيط بيوتهم الضيقة الحقيرة ، وإلا لأدركوا أن العودة ثانية أسهل من الخلق الأول ، وأن إعادة الأموات الى الحياة لاتعد شيئا عميما على قدرة الله الذي خلق السموات والأرض من قبل .

٤- واحيانا يعكس لهم انبعث " الطاقات " قائلا :

" الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدن " .^{١٣}

عندما نمحص هذا التعبير العجيب في القرآن ، مستعينين بالعلوم الحديثة ، يتبين لنا ان العلم يقول : عندما نحرق اخشاب شجرة ، فان الحرارة المنبعثة من نيرانها هي الطاقة الحرارية



نفسها التي كانت الشمس تعكسها عليها اثناء سنوات حياتها — والمخزونة فيها ، مع إننا كنا نظن أن أشعة الشمس على الشجرة قد ماتت وتلاشت ، ولكننا هنا نراها قد عادت الى الحياة مرة أخرى في لباس جديد .

إذن ، هل من الصعب على الله - الذي له هذه القدرة على ان يخترن لعشرات السنوات نور الشمس وحرارتها في جذع شجرة ، ثم في لحظة واحدة يخرج مخزونها - أن يحيي الأموات ؟^{١٤} وهكذا نلاحظ كيف أن القرآن باستدلالاته ومنطقه الواضح يرد على الذين يشكون في المعاد ويتهمون القائلين به بالجنس ، ويخرس ألسنتهم ، باثبات إمكان المعاد استنادا الى الأدلة التي اوردنا جانبا منها .

* * *

فكر وأجب :

- ١- لماذا كان المشركون يأخذهم العجب من فكرة المعاد ؟
- ٢- كيف نرى مشهد المعاد في مملكة النبات كل عام ؟
- ٣- يعتبر القرآن في بعض آياته دورة الحمل والولادة دليلا على المعاد ، لماذا ؟
- ٤- ماهو بعث الطاقات ؟
- ٥- لماذا استدل القرآن بالشجر الأخضر ؟

* * *

المعاد وفلسفة الخلق

يتساءل الكثيرون : لماذا خلقنا الله ؟
وقد يتجاوزن ذلك احياناً ليسألوا : بل ماهي فلسفة خلق هذا
العالم الكبير ؟

إن البستاني يزرع الشجرة من أجل ثمرها ، ويحسث الأرض
ويبذر الحب من أجل غلتها ، فمن أجل أي شيء خلقنا بستاني الخليفة؟
أكان هناك ماينقص الله حتى يستكمله بالخلق ؟ إذا كان
الأمر كذلك فهو إذن محتاج ، ولكن الاحتياج لا يأتلف ومقام
الربوبية ولانهائية وجوده .

للاجابة عن هذا السؤال يمكن قول الكثير ، ولكن مسس
الممكن تلخيص ذلك في بضع جمل واضحات ، وهي :

الخطأ الكبير هو إننا نقارن صفات الله بصفاتنا نحن . فنحن
لكوننا كائنات محدودة ، نقوم باعمالنا لكي نسد حاجة من حاجتنا .
فندرس مثلاً لسد نقصنا من العلم ، ونشتغل لسد حاجتنا الى المال .
ونفتش عن الطب والعلاج لضمان سلامتنا .



ولكن فيما يتعلق باللّه الذي لانهاية له من جميع الجهات ،
علينا أن نبحث عن أهداف مايفعله خارج ذاته • فهو لا يخلق لمنفعة
ولالسذ حاجة ، بل هدفه من ذلك هو أن يفيض بلطفه ووجوده على
عباده •

إنه شمس مشعة لانهاية لها ، تشع بنورها ، لالحاجة بها الى
ذلك ، بل لكي ينعم الجميع بنور وجودها • إن من مقتضيات ذاتسه
اللامتناهية الفياضة أن ياخذ بيد الكائنات ويتقدم بها على طريق
التكامل •

إن خلقنا من العدم يعتبر بذاته خطوة تكاملية بارزة ، كما
إن ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية والشرائع والقوانين ، إن
هي ! الأ قواعد لهذا التكامل •

هذه الدنيا أشبه بجامعة كبيرة ، ونحن طلبتها !

هذه الدنيا أشبه بمزرعة أعدت لنا ونحن زارعوها !

هذه الدنيا متجر أولياء الله !

فكيف يمكن أن نقول أن ليس لهذا الخلق هدف ، مع أننا اذا
نظرنا حولنا وتفحصنا جميع اجزاء الموجودات جزءاً جزءاً لوجدنا أن
لكل منها هدفاً •

ففي أجهزة أجسادنا لن تجد جهازاً بغير هدف ، وحتى
الاهداب ولتقعر باطن القدم اهدافها •

فكيف يمكن أن يكون لاجزاء أجسامنا أهداف ، ولايكسون
لمجموع تلك الأجزاء أي هدف ؟

وإذا تجاوزنا كياننا وخرجنا الى العالم الخارجي الكبير ،
وجدنا إن لكل جهاز فيه هدفاً ، فليسطوع الشمس هدف ، ولهطول
المطر هدف ، ولتركيب الهواء هدف ، فهل يمكن ان لا يكون للمجموع
أي هدف ؟

الحقيقية هي إن في قلب هذا العالم الفسيح لوحة كبيرة تعرض الهدف النهائي الذي لانستطيع رؤيته احياناً ولاول وهلسة، لعظمته • لقد كتب عليها ، " التربية والتكامل " •

* * *

والآن ، بعد أن تعرفنا على هدف الخلق على وجه العموم، يدور الكلام على ما إذا كانت هذه الحياة المعدودة أيامها ، وبكسل مافيها من مشكلات وحرمان ومصائب ، هي هدف الخلق ؟
أفرض أنني عشت في هذه الدنيا ستين سنة ، وأني أعمل كل يوم من الصباح حتى المساء للحصول على القوت ، وأعود الى البيت متعباً منهوكاً ، وتكون النتيجة أنني أستهلك بضعة أطنان مسن الطعام والماء ، وأتحمل العناء والتعب لاشيد داراً ، ثم بعد ذلك أترك كل شيء وأخرج من هذا العالم ، فهل ترى هذا الهدف يستحق أن يستدعيني الى هذا العالم المليء بالآلام والشقاء ؟

لو أن مهندساً شيد عمارة عظيمة وسط الصحراء ، وقضى سنوات طوالاً في تكميلها وتنظيمها وتجهيزها بكل وسائل الراحة ، فاذا سئل : ما الغاية من بنائك هذه العمارة ؟ قال : كل هدفي هو أن يمر بها عابر سبيل ولو مرة ويستريح فيها ساعة أو بعض ساعة !

أفلا يستولي علينا العجب جميعاً ، ونعترض قائلين : ان استراحة ساعة لعابر سبيل لاتستوجب كل هذا العناء والتعب !
لذلك ، فان الذين لا يؤمنون بالبعث وبالحياة بعد الموت ، لا يرون لهذه الدنيا أي هدف وأنها فارغة وعبث • وهذا القول كثيراً ما يصادفنا في كتابات الماديين ويكررونه الى الحد الذي يقودهم الى الانتحار ، نتيجة لاصابتهم بالتعب والملل من حياة لا هدف لها •
إن ما يعطي لهذه الدنيا هدفاً ويجعلها معقولة ومنطقية هو اعتبارها مرحلة متقدمة لعالم آخر ، وان مافيها من مشكلات ووضع



كل هذه المقدمات إنما الهدف منه أن يستفيد منه الانسان فسي
مسيرة حياة خالدة .

كنا قد ضربنا بهذه المناسبة مثلا الجنين في رحم أمه ، فلو
كان له شيء من العقل والادراك ، ويقال له : ان الحياة التي تقضيها
هناك ليس بعدها شيء ، لاعترض قائلا : ماعنى أن أكون سجيناً في
هذا المكان وفي هذا المحيط الضيق ، أطعم الدم ، مطوي الاطراف ،
مرمياً في هذه الزاوية المظلمة ، ثم لا يكون بعد هذا شيء ، ما الذي
استهدفه الخالق بهذا الخلق ؟

أما إذا أكدوا له بأن هذه لأشهر القليلة ليست سوى مرحلة
عابرة يجرى فيها إعدادك للخروج الى عالم جديد وحياة أطول وفي
دنيا هي أوسع بكثير من دنياك الضيقة هذه ، مضيئة ورائعة ، وفيها
نعم كثيرة ، عندئذ يقتنع الجنين بأن الدورة التي يقضيها في رحم
أمه ليست خالية من هدف ، وهو هدف جليل يستحق تحمل عناء هذه
الفترة العابرة .

يقول القرآن المجيد :

" ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" ^{١٥}

خلاصة القول: إن هذا العالم يصرخ بكل كيانه أن هناك عالماً
بعده ، وإلا لكانت هذه الدنيا لغواً وعبثاً لا طائل وراءه .
استمع الى ما يقوله القرآن في ذلك :

" أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وانكم ينسا

لاترجعون" ^{١٦}

أي لولا المعاد - الذي يعبر عنه القرآن بالرجوع الى الله
لكان خلق الانسان عبثاً .
وعليه ، فان فلسفة الخلق تقول : لا بد من وجود عالم آخر
بعد هذا العالم .

فكر وأجب :

- ١- لماذا لا يمكن مقارنة صفات الله بصفات مخلوقاته ؟
- ٢- ما الهدف من خلقنا ؟
- ٣- ايمكن أن تكون هذه الحياة الدنيا هي الهدف من خلق الانسان ؟
- ٤- ما الذي نتعلمه من المقارنة بين الجنين والحياة الدنيا ؟
- ٥- كيف يستدل القرآن بخلق هذا العالم على وجود عالم آخر ؟

* * *

بقاء الروح دليل على البعث

لا يعرف أحد منذ متى بدأ الانسان يفكر في وجود " الروح " وكل ما يمكن قوله هو ان الانسان أدرك منذ البداية أن هناك اختلافاً بينه وبين كائنات هذا العالم الاخرى: الاختلاف بينه وبين الصخرة ، والخشبة ، والجبل ، والصحراء ، والحيوانات .

كان الانسان قد جرب حالة النوم، وكذلك حالة الموت . كان يرى أن الانسان ، بدون أن يتغير شيء في جسمه وهيبته ، يطرأ عليه تبدل كبير في حالته أثناء النوم وعند الموت . من هنا أدرك الانسان أن فيه " جوهرأ " هو غير هذا الجسم الذي يراه .

وكان يرى أنه يختلف عن سائر الحيوانات ، لأنه كان يستطيع أن يقرر أمراً وينفذه بكل حرية وحسبما يتراءى له ، بينما الحيوانات كانت محكومة لغرائزها التي تسيطر على حركاتها وتجبرها عليها .

وعلى الاخص كان يرى مشاهد في عالم النوم ، في الوقت الذي كانت فيه أجهزة الجسم خاملة وجسده ملقى في احدى الزوايسا .



فادرك من هذا أن هناك قوة غامضة تهيمن على كيانه ، فأطلق عليها اسم " الروح " .

وعندما وضع العلماء أسس الفلسفة ، ووضعوا " الروح " كقضية فلسفية كبرى ضمن القضايا الأخرى . ومن ثم راح الفلاسفة يبدون آراءهم عن ماهية " الروح " ، حتى بلغ تعداد تلك الآراء نحو ألف رأي ونظرية ، حسب قول بعض الفلاسفة الاسلاميين ، وتدور كلها حول " الروح " وما يتعلق بها . إن الكلام في هذا يطول ، غير إن الأهم الذي ينبغي أن يعرفه المرء يتعلق بالجواب عن هذا السؤال :

هل الروح مادة أم لا؟ وبعبارة أخرى : هل هي مستقلة أم إنها من خصائص الدماغ والاعصاب الكيماوية والفيزيائية ؟
ثمة فريق من الفلاسفة الماديين يصرون على أن السروح والظواهر الروحية مادية وأنها من خصائص خلايا الدماغ ، وعندما يموت الانسان ، تموت الروح معه ، بمثل الساعة التي نحطمها بضربة مطرقة فتتناثر اجزاؤها ، ويتوقف عملها على أثر ذلك .

وفي الطرف المقابل لهؤلاء يقف الفلاسفة الالهيون ، ومعهم بعض الفلاسفة الماديين الذين يقولون بأصالة الروح . يعتقد هؤلاء إن الروح لا تموت بموت الانسان ، بل تستمر في الحياة . ولا ثبات هذه المقولة ، أي أصالة الروح واستقلالها وبقائها يذكرون أدلة معقدة كثيرة ، لا يسعنا هنا إلا أن نورد بعض أهمهما وأوضحها بعبارات بسيطة لكي يعيها شبابنا العزيز :

١- لا يمكن حشر عالم كبير في محيط ضيق

افرض إنك على ساحل البحر وخلفك جبال شاهقة نحو السماء ، والامواج العاتية تصفع الصخور بقوة وترتد عنها الى البحر صاخبة . والصخور الضخمة عند سفح الجبل تنبئ عن الغوغاء في أعلى الجبل والسماء الزرقاء من فوق قمم الجبال تضج ليلا عظمة وجلالا .

تتطلع لحظة الى هذا المشهد ، ثم تغمض عينيك وتسترجع في ذهنك المشهد كما رأيته حجماً وعظمة .

لاشك ان هذه الخريطة الذهنية بكل حجمها وعظمتها تحتاج الى مكان ولا يمكن ان ترسم على خلايا الدماغ الصغيرة ، وإلا لآفان هذه الخريطة الكبيرة يجب ان ترسم على نقطة صغيرة ، في الوقت الذي نرى المنظر في خيالنا بحجمه الطبيعي .

يدل هذا على ان هناك " جوهرأ " غيرالدماغ وخلاياه هو الذي يستطيع أن يحتفظ بكل مشهد وخريطة مهما كبر حجمها . ولاشك إن هذا الجوهر لا بد أن يكون ما وراء عالم المادة ، إذ ليس في عالم المادة شيء يشبهه .

٢ - خصائص الروح الخارجية

إننا نعرف الكثير من الخصائص الفيزيائية والكيميائية في أجسامنا ، فحركات المعدة والقلب فيزيائية ، والترشحات والافرازات وعصارات المعدة كيميائية . وأمثال هذه كثيرة في جسم الانسان . فاذا كانت الروح والفكر مادية وناشئة من خواص خلايا الدماغ الفيزيائية والكيميائية ، فلماذا نرى خواصها تختلف عن خواص الجسم .

إن الفكر والروح يربطاننا بالخارج ويخبراننا بما يحدث حولنا . أما الخصائص الكيميائية كالافرازات والعصارات ، والفيزيائية كحركات العين والقلب واللسان ، لاتملك مثل تلك الخصائص مطلقاً . وبعبارة أخرى ، إننا نشعر جيداً بأننا مرتبطون بعالمنا الخارجي ، ونعرف الكثير عنه . فهل دخل العالم الخارجي السسى داخلنا ؟ طبعاً ، لا . إذن ، ما الحكاية ؟

لاشك إننا نرى خارطة العالم ، وإن خصيصة الروح في الظهور الخارجي هي التي تجعلنا ندرك العالم خارج وجودنا . إنك لاتجدهذه

الخصيصة في أي من الظاهرات الفيزيائية ولا في التفاعلات الكيماوية في أجسامنا ، فتأمل !

وهذا يعني ، بعبارة أخرى ، أن التعرف على الكائنات الخارجية العينية يتطلب نوعاً من الاحاطة العامة ، وهذه ليست من وظائف خلايا الدماغ ، فهذه إنما تتأثر بالعوامل الخارجية ، مثل سائر خلايا الجسم الاخرى .

هذا الاختلاف يدل على أن هناك فعالية أخرى في الجسم غير التغيرات الفيزيائية والكيميائية ، فعالية تجعلنا نحيط بخسارج وجودنا ، وماهذه سوى الروح ، تلك الحقيقة التي تتجاوز عالم المادة وخصائصها .

٣- الأدلة التجريبية على أصالة الروح واستقلالها

لحسن الحظ استطاع العلماء اليوم أن يثبتوا بطرق علمية وتجريبية مختلفة أصالة الروح واستقلالها ، وبذلك ردوا رداً حاسماً على الذين أنكروا استقلالية الروح وقالوا إنها من خصائص المادة :

١ - من تلك الدلائل التنويم المغناطيسي الذي أجريت عليه تجارب كثيرة جداً ، رآها بعضهم بانفسهم وتأكدت لديهم . والذين لم يروا ذلك نورد لهم شرحاً بسيطاً لتلك التجارب :

هناك أشخاص يستطيعون بطرق علمية خاصة ان (ينوموا) أشخاصاً آخرين يطلق عليهم اسم (الوسطاء) . فيقوم المنوم بتنويم الوسيط بالايحاء اليه عن طريق التركيز الفكري ونظرات العيـن وغير ذلك ، فيروح الوسيط في نوم عميق ، ولكنه لا يشبه النوم العادي بل هونوم يظل خلاله الارتباط بين المنوم والوسيط قائماً ، فيحدثه ويتلقى منه الجواب .

وبعد أن يصل الوسيط الى حالة النوم هذه ، يرسل المنوم روح الوسيط الى نقاط مختلفة ، وقد تعود باخبار جديدة ، أو تخبر عن:



أمور لم يكن الشخص النائم يعرف عنها شيئاً من قبل •
 فهو مثلاً قد يتكلم بلغة لم يكن يعرفها من قبل ،
 وقد يستطيع ان يحل مسائل رياضية معقدة ،
 أو قد يكتب أموراً على صحائف موضوعة داخل صندوق مغلق
 بغير أن يفتحوه •

بل قد تظهر الروح نفسها احياناً بهيئة أشباح أو ظلال
 واضحة في بعض جلسات التنويم المغناطيسي، وأمثال ذلك من الأمور
 التي شرحناها في كتاب " عود ارواح "

٢- إحصار الأرواح • أو الاتصال بأرواح الأموات وإحضارها
 الى جلسات إحصار الأرواح، مما يدل على أصالة الروح واستقلالها •
 هنالك اليوم جمعيات روحية كثيرة منتشرة في مختلف أنحاء
 العالم ، ويصدر عنها - كما يقول العالم المصري المعروف فريد
 وجدي- أكثر من ٣٠٠ مجلة وصحيفة ، وتعدّد جلسات لاحضار الأرواح
 يشترك فيها شخصيات معروفة حيث تستحضر الأرواح ، فتقوم بأعمال
 خارقة للعادة •

وعلى الرغم من أن هناك عدداً من المشعوذين الذين يسيئون
 استعمال هذه الأمور بغير معرفة ، فيخدعون الناس وبيتزون أموالهم ،
 فان حقيقة وجود هذه الحالة التي يعترف بها العلماء المختصون
 لا يمكن انكارها ١٧

هذه كلها أدلة على أصالة الروح واستقلالها وبقائها بعد
 الموت ، وهي خطوة مؤثرة نحو المعاد والحياة بعد الموت •
 ٣- ثمة أحلام ومشاهد نراها في عالم النوم تتجسم خلالها
 احياناً حوادث مستقبلية ، وقد تكشف احياناً عن أمور خفية السى
 درجة لا يمكننا معها ان نعتبرها من باب الاتفاق والمصادفات ، وهذا
 ايضاً دليل على أصالة الروح واستقلالها •

ومعظم الناس لاشك قد مرت بهم في حياتهم مثل هذه الاحلام الصادقة ، أو أنهم في الاقل قد سمعوا بأن الحلم الذي رآه احد أصحابهم قد تحقق بحذافيره بعد مدة من الزمن ، الأمر الذي يدل على أن الروح تستطيع خلال نوم الانسان أن تتصل بعوالم اخرى وقد ترى بعض الحوادث التي ستقع في المستقبل .

جميع هذه الامور يشير بوضوح الى أن الروح ليست مادة ، وليست نتيجة خصائص دماغ الانسان الفيزيائية والكيميائية ، بل هي حقيقة من حقائق ماوارء الطبيعة ، وإنها لاتموت بموت الجسد الذي كانت تحل فيه . وهذا مايهمد الطريق للقبول بمسألة المعاد وعالم ما بعد الموت .

* * *

فكر أجب :

١- ما اختلاف بين الفلاسفة الإلهيين وبعض الماديين في

قضية الروح ؟

٢- ما المقصود بعدم انطباق الكبير على الصغير باعتباره

دليلا على أصالة الروح ؟

٣- ماذا تعرف عن التنويم المغناطيسي ؟

٤- ماذا نقصد باستحضار الأرواح ؟

٥- كيف تكون الأحلام الصادقة دليلا على أصالة السروح

واستقلالها ؟

* * *

المعاد الجسماني والروحاني

من المسائل المهمة الاخرى التي تبرز في موضوع المعاد هو السؤال عما إذا كان المعاد "روحانياً" فقط، أم إنه يكون بعودة الروح والجسم معاً في العالم الآخر، وإن الانسان، بروحه وجسمه نفسيهما إنما على مستو افضل وارفع، سوف يواصل حياته فسي العالم الآخر .

كان فريق من الفلاسفة القدامى يعتقد بأن المعاد يكون بالروح فقط، لانهم كانوا يعتقدون بأن الجسم تركيب خاص يختص بالعالم الدنيوي فحسب، وبأن الانسان يستغني عنه في العالم الآخر، وانه يهرع الى العالم الآخر بدون جسمه .

الآن كبار العلماء والفلاسفة الاسلاميين يعتقدون أن عودة الانسان الى العالم الآخر يكون بروحه وجسمه معاً، صحيح إن هذا الجسم يتحول الى تراب بعد الموت، وإن ترابه يتشتت في أرجاء الارض ويضيع، ولكن الله القادر العالم يجمع كل ذرات الجسد يوم القيامة ويضفي عليها لباس الحياة مرة اخرى، وهذا هو "المعساد

الجسماني " لانهم يرون أن عودة الروح أمر لاشك فيه، ولما كان الجدل يدور حول عودة الجسم نفسه ، فقد عبروا عن ذلك بـ " المعاد الجسماني " .

على كل حال ، إن الآيات القرآنية النازلة بهذا الخصوص، وهي كثيرة ومتنوعة ، تشير كلها الى " المعاد الجسماني " .

القرآن والمعاد الجسماني:

سبق أن تحدثنا عن الاعرابي الذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله بقطعة عظم بالية قائلاً :

" من يحيي العظام وهي رميم " ؟

فيجيبه الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله :

قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق

عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم

منه توقدون " كما جاء في آخر سورة " يس " .

وفي موضع آخر يقول القرآن :

" ونفخ في الصور فاذا هم من الأجدات السى

ربهم ينسلون " ١٨

" خضعاً أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم

جراد منتشر " ١٩

ونحن نعلم إن الأجدات ، وهي القبور ، تكون موضع الأجساد

التي اصبحت تراباً ، وليست موضع الأرواح .

لقد كان أكثر إنكار منكري المعاد يستند الى عدم قدرتهم

على تصور امكان جمع التراب المتناثر في ارجاء الارض واعادة الحياة

اليه :

" وقالوا إذا ضللنا في الارض أينا لفي خلق

جديد " ٢٠

فيرد عليهم الله قائلاً :

" ألم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم يعيده

إن ذلك على الله يسير " ٢١

كان عرب الجاهلية يقولون :

" أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً

إنكم مخرجون " ٢٢٠

كل هذه الآيات القرآنية وغيرها تدل دلالة واضحة على أن رسول الاسلام صلى الله عليه وآله قد تحدث عن " المعاد الجسماني" لان تعجب المشركين الجاهلين كان منصباً على هذا الجانب مسن الموضوع، ولذلك بادر القرآن بإيراد نماذج من صور المعاد الجسماني في عالم النبات وغيره مما يراه الانسان بعينه ، كأمثلة على الخلق الأول وعلى قدرة الله .

وبناء على ذلك فالانسان إذا كان مسلماً وقارئاً للقرآن ، لا يمكن أن ينكر المعاد الجسماني ، لأن إنكاره ، في نظر القسّرآن ، إنكار للمعاد نفسه .

الدلائل العقلية:

إذا تجاوزنا عن ذلك ، فان العقل يقول إن الروح والجسد ليسا حقيقتين منفصلتين ، فهما مترابطان بعض ببعض بالرغم من استقلالهما بعض عن بعض ، فهما يتربيان معاً ، ويبلغان التكامل معاً ولاشك إنهما لا يستغنيان بعض عن بعض لادامة الحياة الخالدة .

وإذا ما انفصلا بعض الوقت في البرزخ (الزمن الفاصل بين الدنيا والآخرة) فان ذلك لا يمكن أن يكون دائماً ، فمثلما إن الجسد بغير الروح ناقص ، كذلك الروح بغير الجسد ناقصة . إن الروح هي

الآمرة والمحركة ، والجسم هو المطيع وهو آلة التنفيذ ، فما من أمر يستغني عن المأمور ، وما من عامل يستغني عن آلة العمل .
 ولكن بما أن الروح تكون يوم القيامة في مرتبة أسمى وأرفع ، فلا بد للجسد ايضا أن يكون قد تكامل بالنسبة نفسها ، وهكذا سيكون كاملا ، أي إن الجسد يوم القيامة سيكون خالياً من كل العيوب والنواقص التي كانت فيه في هذه الدنيا .
 على كل حال ، فإن الروح والجسد قد ولدا معاً ويكمل أحدهما الآخر ، وإن المعاد لا يمكن أن يكون جسمانياً فقط ولا روحانياً فقط .
 وبعبارة اخرى ، تدل دراسة كيفية ظهور الجسد والروح وعلاقة كل منهما بالآخر على أن المعاد يكون لهما كليهما .
 ثم إن قانون العدالة يقول ، من جهة اخرى: إن المعاد يجب أن يكون لكليهما ، لأن الانسان الذي ارتكب معصية في الدنيا قد ارتكبها بالجسد والروح معاً ، وإذا كان قد أتى بحسنة فقد أتى بها بهما معاً . وبناء على ذلك فالعقاب والثواب يجب كذلك أن يقعوا على الجسد والروح معاً ، إذ لو كان المعاد للجسد بمفرده ، أو للروح بمفردها ، لما تحققت العدالة .

أسئلة حول المعاد الجسماني:

وضع العلماء بعض الاسئلة بشأن المعاد الجسماني نورد بعضها استكمالا للبحث :

١- تؤكد تجارب علماء العلوم الطبيعية أن جسم الانسان يتبدل خلال عمره عدة مرات ، فهو أشبه بحوض للسباحة حيث يصب فيه الماء من جهة وينسرب منه تدريجياً من جهة اخرى . وبديهي أن ماء الحوض يكون قد تبدل بعد مدة من الزمن .
 وهذا نفسه يحدث بالنسبة لجسم الانسان ويتم مرة في نحو



سبع سنوات. وبناء على ذلك فإن أجسامنا تتبدل عدة مرات خلال أعمارنا .

هنا يتبادر هذا السؤال الى الذهن : أي هذه الأجساد هو الذي يعود يوم القيامة ؟

في الاجابة على هذا السؤال نقول : آخرها ، كما قرأنا في الآيات السابقة التي جاء فيها إن الله يحيي الانسان من عظامه وتراب جسده الذي دفن تحت التراب . يستفاد من هذا أن جسده الذي مات به هو الذي يحييه الله يوم القيامة . كما إن تعبير :

" إن الله يبعث من في القبور " ٢٣

يعني إنه يبعث الجسد الذي مات ودفن في القبور .

ولكن هذا الجسد الاخير يحمل جميع الآثار والخصائص التي كانت للانسان في أجساده الاخرى طوال حياته . وبتعبير آخر ، إن الاجساد السابقة التي تتلف تدريجياً تنقل الى الجسد التالي جميع آثارها وخصائصها . وعليه فان الجسد الأخير يكون قد ورث جميع صفات الأجساد السابقة ، وبذلك يكون خليقاً بتطبيق قانون العدالة في الثواب والعقاب عليه .

٢- يقول بعضهم : إننا إذا ما أصبحنا تراباً وتحولت ذرات أجسادنا الى تراب ، وأصبحت هذه غذاء لانواع النباتات والاشجار ودخلت في الاثمار وأكلها أناس آخرون ، ومن ثم أصبحت اجزاء من أجسادهم ، فكيف تعود هذه الى الحياة يوم القيامة ؟ وهذا هو ما يعبرون عنه في الفلسفة وعلم الكلام بـ " شبهة الآكل والماكول " .

على الرغم من أن الاجابة عن هذا السؤال تتطلب الكثير من البحوث ، فاننا سنحاول أن نبسط ذلك بالقدر اللازم ، فنقول :

" ليس هناك شك في ذرات جسد احد الاشخاص

التي غدت جزءاً من جسد شخص آخر تعود الى جسد

صاحبها الاول ، وهذا واضح من الآيات المذكورة سابقه

ولكن المشكلة التي تبرز هنا هي أن جسد الشخص الثاني يصبح ناقصاً . ولكن الحقيقة هي إنه لا يصبح ناقصاً ، بل يصبح أصغر ، لأن تلك الذرات كانت قد انتشرت في جميع اجزاء الجسد ، فعندما استرجعت منه صغر ونحف بنسبة ما أخذ منه .

وعليه فلا الجسد الاول يزول ولا الجسد الآخر ، وكل ما في الامر هو ان الجسد الثاني يصبح صغيراً ، وليس في هذا مشكلة ، لاننا نعلم إن الأجساد يوم القيامة تتكامل ويزول عنها كل نقص ، بمثلما يكبر الطفل وينمو ، أو كما ينمو لحم جديد بمكان الجرح ، بغير أن تتبدل شخصية الطفل أو الجريح . فالأجساد الصغيرة والناقصة تحشر الى عالم الكمال يوم القيامة كاملة غير منقوصة .

وهكذا لاتبقى مشكلة بهذا الشأن . فتأمل !

(للمزيد من التوضيح يمكنكم الرجوع الى كتاب " معاد وجهان
پس از مرگ) .

*

*

*

فكر وأجب :

- ١- هل حياة الانسان يوم القيامة تشبه حياته في هذه الدنيا؟
- ٢- هل نستطيع ان ندرك في هذه الدنيا كيف يكون الثواب والعقاب يوم القيامة ؟
- ٣- هل للنعم في الجنة وللتعذيب في الجحيم جوانبها الجسمية فقط ؟
- ٤- ما المقصود من تجسد الأعمال ، وكيف يستدل القرآن عليها ؟
- ٥- ما المشكلات التي يحلها الاعتقاد بتجسد الأعمال في

*

*

*

الجنة والنار وتجسد الأعمال

كثيراً ما يتساءل الناس : هل عالم بعد الموت يشبه هذا العالم ، أم أنهما مختلفان ؟ ماذا عن الثواب والعقاب والقوانين السائدة فيه ، هل هي مثل ما في هذه الدنيا ؟

نقول في الجواب : ان هناك شواهد كثيرة تدل على أن العالم الآخر يختلف كثيراً عن هذا العالم ، بحيث إن مانعرفه عن العالم الآخر يجعله يبدو لنا كالشبح الذي نراه من بعيد .

يحسن بنا أن نعود الى مثال " الجنين " الذي ضربناه من قبل ، فبالقدر الذي يوجد من بعد بين " عالم الجنين " وهذا العالم يكون البعد بين عالمنا هذا والعالم الآخر ، أو أكثر .

ولو كان للجنين في الرحم عقل و اراد ان يكون له تصور صحيح عن العالم الخارجي بالنسبة له ، عن السماء و الارض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الغابات و البحار ، لاستحال عليه ذلك . فالجنين الذي لا يتعدى عالمه رحم امه المحدود ، لا يمكن ان تعني الشمس و القمر و البحر و الامواج و الرياح و النسائم و الزهور و مختلف مظاهر



الجمال في عالمه الخارجي أي مفهوم محدد بالنسبة له • إن قاموسه اللغوي لا يتعدى بضع كلمات ، ولو ان احداً شاء ان يكلمه من خارج رحم امه (بالفرض) لما فهم منه كلاماً •

فاختلاف عالمنا المحدود هذا مع العالم الواسع الآخر يكون بهذه النسبة أو أكثر • وعليه ، فليس بإمكاننا أن نحمل أي تصور عما هناك من نعم ونقم وجنة ونار وغير ذلك •
وقد جاء في حديث شريف عن الجنة :

" فيها ما لآعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر

على قلب بشر " •

وقد جاء هذا المعنى نفسه في القرآن الكريم ، إذ يقول :

" فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء

بما كانوا يعملون " ٢٤

كما إن النظم السائدة هناك مختلفة عما في هذا العالم ايضاً ، فمثلاً ، الشهود على أعمال الانسان وأفعاله هم اعضاءه ، يده ورجله وجلده وحتى الارض التي ارتكب العمل عليها • يقول القرآن :

" اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم

وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " ٢٥

و " قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا

أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " ٢٦

كان تصور هذه المسائل غير متيسر في الماضي ، ولكن بعد تقدم العلوم وامكان تسجيل المشاهد والاصوات لم يعد هناك ما يدعو الى العجب • على كمال حال ، على الرغم من أننا مانزال غير قادرين على أن نرى من شؤون العالم الآخر سوى ما يشبه الشبح البعيد ، ولكن الذي ندرجه هو أن العقاب والثواب في العالم الآخر يشملان الجوانب الروحانية والجسمانية ، وذلك لأن المعاد يشمل كلا الجسم والروح

يقول القرآن :

" وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن

لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ولهم فيها

أزواج مطهرة وهم فيها خالدون " ٢٧

وفيما يتعلق بالمشوبات المعنوية يقول القرآن :

" ورضوان من الله أكبر " ٢٨

نعم ، إن ادراك أهل الجنة أن الله راض عنهم وأن خالقهم

قد تقبلهم يخلق فيهم احساساً بالفرح والبهجة واللذة لا يمكن أن

يقارن به شيء ، كما أن هل النار يحسون ، بالإضافة الى العسذاب

الجسماني ، يغضب الله ورفضه لهم ، وهو أشد من كل عذاب .

تجسد الأعمال

يستفاد من كثير من الآيات القرآنية أن أعمالنا يوم القيامة

تتجسدحية في صور مختلفة وتماحبنا ، وأن واحدا من أنواع العقاب

والثواب المهمة هو هذا التجسد نفسه . فالظلم يتجسد بصورة

سحابة سوداء تحيط بالظالم ، كما جاء في حديث شريف :

" الظلم هو الظلمات يوم القيامة " .

وجاء في القرآن :

" إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما

يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا " ٢٩

و "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

بين أيديهم " ٣٠

و "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم

الذي يتخبطه الشيطان من المس " ٣١



و " ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله
من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة " ٣٢ .

وهكذا سائر الأعمال الأخرى، تتجسد بما يناسبها .
إننا نعلم اليوم أن العلم يقول :

المادة لاتفني ، وإنما هي تتغير من مادة الى
طاقة . فالانفعال والاعمال التي لاتخرج عن هاتين
الحالتين ، تبقى خالدة ابدا .

إن في القرآن آية صغيرة عن يوم القيامة تهز الانسان هزاً :

" ووجدوا ما عملوا حاضراً "

والحقيقة ان كل ما يصيهم إنما هو بسبب اعمالهم ، ولذلك يضيف
الى قوله :

" ولا يظلم ربك احداً " ٣٣ .

وفي موضع آخر من القرآن نقرا عن يوم القيامة :

" يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم "

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره " ٣٤ .

لاحظ ان الكلام يدور على " رؤبة " الاعمال .

إذا قلنا إن أعمالنا في هذه الدنيا ، صغيرها وكبيرها ،
وحسنها وسيئها ستبقى محفوظة و لاتفني ، وستكون معنا يوم القيامة
فان ذلك لا بد ان يكون انذاراً لنا جميعاً لكي نتجنب الأعمال السيئة ،
ونعمل الصالحات أكثر .

من العجيب إن هناك اليوم أجهزة قداخترعوها تستطيع أن
تجسد لنا جانباً من هذا الموضوع في هذه الدنيا . يقول احد العلماء
المعاصرين :

" لقد أمكن استعادة الامواج الصوتية التي صدرت قبل ألفي سنة من العمال المصريين الذين كانوا يشتغلون بعمل الفخار ، بحيث يمكن سماعها . ففي المتحف المصري أو ان فخارية صنعت قبل ألفي سنة على الاجهزة اليدوية الخاصة بذلك . وفي اثناء صنعها انتقلت الامواج الصوتية من أيدي العمال الى تلك الأواني . واليوم استطاع العلماء أن يعيدوا الحياة الى تلك الأمواج بحيث إننا نسمعها بأذاننا .

على اي حال إن كثيراً من الاسئلة التي تدور حول مسألة المعاد والخلود وعقاب المسيئين وثواب المحسنين الواردة في القرآن المجيد ، يمكن أن يجاب عليها بأخذ عملية " تجسيد الاعمال " بنظر الاعتبار ، وذلك باعتبار أن كل عمل حسن أو سيء يترك أثره في أرواحنا ، وأن ذلك الأثر باق معنا لا يفارقنا .

* * *

فكر وأجب:

- ١- هل تشبه حياة الانسان يوم القيام حياته في هذه الدنيا من جميع النواحي ؟
- ٢- هل نستطيع أن نفهم تماما في هذه الدنيا ما في يوم القيامة من ثواب وعقاب ؟
- ٣- هل النعم في الجنة والعذاب في النار جسمانية فقط ؟
- ٤- ما المقصود بتجسد الاعمال ، وما الادلة القرآنية على ذلك ؟

٥- كيف يجيب الاعتقاد بتجسد الاعمال عن الاسئلة التي تسال حول موضوع المعاد ؟

* * *

الهوامش

١- يشير المؤلف الى دفاع الشعب الايراني المسلم البطل ضد البعثيين
الرافقين الغزاة الذين دفعهم الاستكبار العالمي لمهاجمة الثورة الاسلامية
المباركة والاجهاض عليها ، فشنوا عليها في ايلول في سنة ١٩٨٩م حربا ظالمة
مازالت رعاها دائرة حتى كتابة هذه السطور في النصف الاول من ١٩٨٦ ان
تهافت الشعب المسلم في ايران على ساحات الجهاد لم يسبق له مثيل فسي

تاريخ العالم ابدًا - المترجم .

٢- " نهج البلاغة " الخطبة ٢٢٤ .

٣- سورة الكهف ، الاية ٤٩ .

٤- سورة القيامة ، الايات ١ - ٤ .

٥- " علم الاجتماع " بقلم كينك " ص ١٩٤ .

٦- سورة " القلم " الايتان ٣٥ و ٢٩ .

٧- سورة " ص " الاية ٢٨ .

٨- سورة " سبأ " الايتان ٧ و ٨ .

٩- سورة " فاطر " الاية ٩ .

١٠- سورة " يس " الاية ٧٩ .

١١- سورة " الانبياء " الاية ١٠٣ .

- ١٢- سورة " يس " الآيتان ٨١ و ٨٢ .
- ١٣- سورة " يس " الآية ٨٠ .
- ١٤- نذكر بان العلم الحديث يقول ان النباتات الخضراء هي القادرة على استقبال نور الشمس فتحلل بوساطته غاز الكاربونيك ، تحتفظ بالكاربون في داخلها وتحرر غاز الاوكسجين ، وفي الوقت نفسه تحتزن الطاقة الحرارية من الشمس .
- ١٥- سورة " الواقعة " الآية ٦٢ .
- ١٦- سورة " المؤمنون " الآية ١١٥ .
- ١٧- لمزيد من الاطلاع انظر كتابي " عود ارواح " و " معاد وجهن پس از مسرکه .
- ١٨- سورة " يس " الآية ٥١ .
- ١٩- سورة " القمر " الآية ٧ .
- ٢٠- سورة " السجدة " الآية ١٠ .
- ٢١- سورة " العنكبوت " الآية ١٩ .
- ٢٢- سورة " المؤمنون " الآية ٣٥ .
- ٢٣- سورة " الحج " الآية ٧ .
- ٢٤- سورة " السجدة " الآية ١٧ .
- ٢٥- سورة " يس " الآية ٦٥ .
- ٢٦- سورة " ص " الآية ٢١ .
- ٢٧- سورة البقرة " الآية ٢٥ .
- ٢٨- سورة " التوبة " الآية ٧٢ .
- ٢٩- سورة " النساء " الآية ١٠ .
- ٣٠- سورة " الحديد " الآية ١٢ .
- ٣١- سورة " البقرة " الآية ٢٧٥ .
- ٣٢- سورة " آل عمران " الآية ١٨٠ .
- ٣٣- سورة " الكهف " الآية ٤٩ .
- ٣٤- سورة " الزلزلة " الآية ٦ - ٨ .

الصفحة	الموضوع	الفهرست
٥	مقدمة الناشر	
		الدرس الاول
٧	سؤال مهم : هل الموت نهاية ام بداية ؟	
٨	لماذا الخوف ؟	
٨	تفسير الموت بالفناء	
٩	الاضايير السود	
١٠	نظرتان مختلفتان	
		الدرس الثاني
١٣	المعاد يعطي الحياة مفهومها	
١٥	الايمان بالمعاد عامل تربوي	

الدرس الثالث

١٩ في اعماقنا مثال لمحكمة يوم القيامة

الدرس الرابع

٢٥ المعاد في تجليات الفطرة

٢٦ حب البقاء

٢٦ يوم القيامة عند الماضين

الدرس الخامس

٣١ البعث في ميزان العدالة

٣٢ حرية الارادة والاختيار

الدرس السادس

٣٧ مشاهدة البعث في هذا العالم

الدرس السابع

٤١ المعاد وفلسفة الخلق

الدرس الثامن

٤٧ بقاء الروح دليل على البعث

٤٨ لايمكن حشر عالم كبير في محيط ضيق

٤٩ خصائص الروح الخارجية

٥٠ الادلة التجريبية على اصالة الروح واستقلالها

الدرس التاسع

٥٣ المعاد الجسماني والروحاني

٥٤ القرآن والمعاد الجسماني

٥٥ الدلائل العقلية

٥٦ اسئلة حول المعاد الجسماني

الدرس العاشر

٦١ الجنة والنار وتجسد الاعمال



٦٣

٦٧

تجسد الاعمال

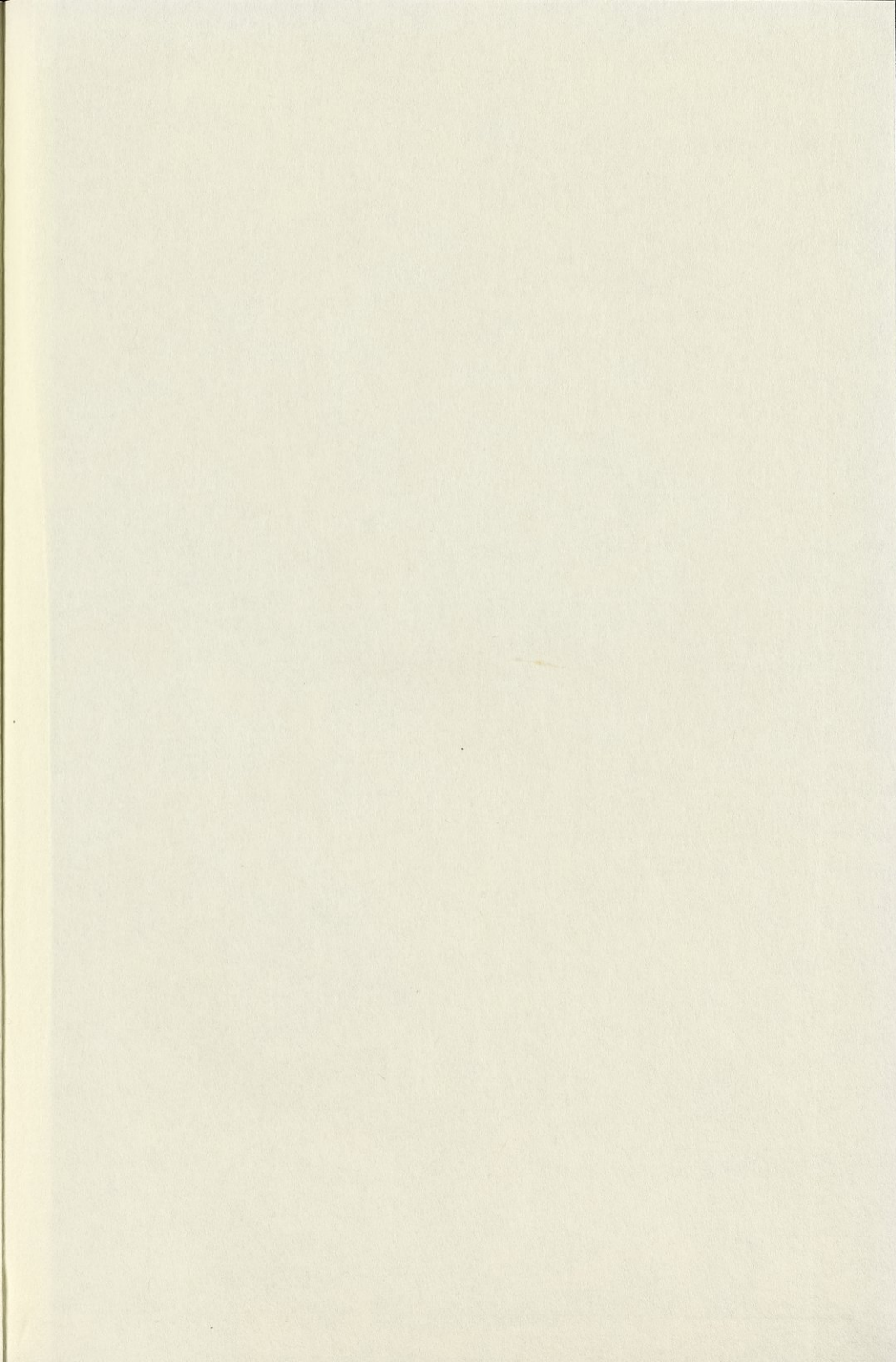
الهوامش

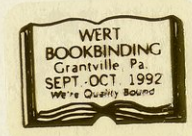
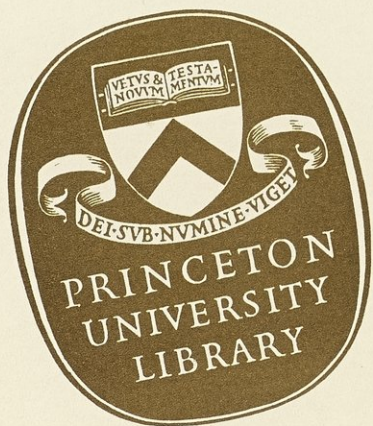


صندوق البريد ۱۳۶۱ - ۱۵۸۱۵

ایران - طهران







Princeton University Library



32101 088635311

AP